

التبيان في تفسير القرآن

(576) قوله تعالى: وإذا جاؤكم قالوا آمنوا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وإنا أعلم بما كانوا يكتمون (64) آية بلاخلاف أخبرنا تعالى عن هؤلاء المنافقين بأنهم إذا جاؤا المؤمنين (قالوا آمنا) أي صدقنا (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) قيل فيه قولان: أحدهما - قال الحسن وابن عباس والسدي وقتادة وأبو علي: وقد دخلوا بالكفر بخلاف ما أظهره على النبي (صلى الله عليه وآله) وخرجوا به من عنده. الثاني - وقد دخلوا به في أحوالهم وقد خرجوا به إلى أحوال آخر كقولك هو يتقلب في الكفر ويتصرف به، ومعناه تقرب الماضي من الحال ولهذا دخلت (في) هذا الموضوع. وقال الخليل: ويكون لقوم ينتظرون الخبر كقولك قد ركب الأمير لمن كان ينتظره، وهو راجع إلى ذلك الأصل لأنه تقرب من الحال المنتظرة وأصل الدخول الانتقال إلى محيط كالوعاء إلا أنه قد كثر حتى قيل دخل في هذا الأمر، ولا يدخل في المعنى ما ليس منه. ودخل في الإسلام. وخرج بالردة منه. وكان ذلك مجاز. وقوله: (جاؤكم) لا يجوز أن يكون عاملا في "إذا" كما يعمل في "متى" لو. قيل: متى جاؤكم، قالوا آمنا، لأن "إذا" مضافة إلى ما بعدها والمضاف إليه لا يعمل في المضاف لأنه من تمامه. وليس كذلك "متى" لأنها جزاء. وقوله "وإنا أعلم بما كانوا يكتمون" معناه ما يكتمونه من نفاقهم إذ أظهروا بألسنتهم ما أضمرُوا خلفه في قلوبهم فبيننا للناس أمرهم.